-عوامل قيام النهضة الأوربية الحديثة

لقد شهدت أوربا مرحلة تاريخية هامة، كانت حدا فاصلا بين العصور الوسطى التي تميزت بالجمود الفكري، والحضاري في عمومها، وبين عصر جديد تميز بالتطلع لما وراء البحار والخوض في غمار المعرفة والتجربة. إن هذه المرحلة تميزت بإحياء العلوم والمعارف، والتي أطلق عليها النهضة الأوربية، والتي ظهرت جلية في القرن15م، ولدت في ايطاليا وتولت زعامتها حيث ملكت هذه الأخيرة لغة قومية ومناخا مناسبا وحرية سياسية ورخاء اقتصادي نتيجة النشاط التجاري لمدنها كجنوة وبيزا والبندقية وفلورنسا.

في حين كانت بقية أوربا تعيش حالة الجمود الفكري. حيث شهد الأدب والفن نموا ورعاية خاصة وبعد ذلك أخذت بقية الأقاليم الأوربية تتلقى أصول النهضة من ايطاليا، واعتبر رواد هذه الحركة أن الفترة التي سبقت النهضة بفترة سكون وجمود ويجب أن يكون إخراج الإنسان من هذا المأزق الحضاري، وقد آمنوا بأن الحضارة الحقيقية قد اندثرت منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية، وقد عادت إلى الوجود على أيديهم، ولقد هناك عدة عوامل ساعدت على قيام النهضة الأوربية الحديثة وانتشارها في أوربا أهمها:

أولا:-الاتصال الحضاري بين غرب أوربا ومراكز الحضارة الإسلامية: وتم هذا اتصال عبر ثلاثة منافذ أهمها:

–الاتصال بمراكز الحضارة الإسلامية ومنها **الأندلس** التي تعتبر منفذا ذا أهمية إذ أن المسلمين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية في العقد الثاني من القرن 8م واستمروا بها إلى غاية أواخر القرن15م، حيث أصبحت الأندلس مركز إشعاع حضاري في شتى العلوم والمعارف وفيها تفاعل المجتمع العربي الإسلامي مع المجتمع اللاتيني، وتعتبر نموذج للتسامح في ظل الهيمنة الإسلامية.

ولقد اهتم المسلمون ببناء المدارس والمعاهد ودور العلم، بحيث أصبحت قبلة لطلاب العلم والمعرفة في شتى التخصصات، فلسفة، رياضيات، طب، أدب...وأما فيما يخص المنفذ الثاني فيتمثل في **جزيرة صقلية**، التي شكلت حلقة الاتصال لأوربا بالعالم الإسلامي، هذه الجزيرة وصلها الفتح الإسلامي في عهد الأغالبة في القرن9م، والتي أصبحت منارة للعلم ومركز إشعاع حضاري قصده طلاب العلم من أوربا وبعد أن سقطت الجزيرة في أيدي النورمان تسامحوا مع المسلمين وحافظوا على صبغتها العربية الإسلامية وعملوا على تقدمها ليحققوا هدفهم.

وأما الرافد الثالث الذي له تأثيره حتى وان قل فإنه يعتبر جسرا آخر انتقلت به العلوم والمعارف إلى الغرب وهذا يتمثل في **المشرق الإسلامي**، حيث أن أوربا شنت حروبها الصليبية عليه، والتي دامت ما يقارب القرنين من

الزمان وطبعا ذلك في الفترة المتأخرة من العصور الوسطى(11-13م)، إذ أن أوربا كانت تسير بخطى ثابتة يغلب عليها الجمود إما العالم الإسلامي فقد شهدا إزهارا حضاريا حتى وان أصابته نوبة ركود، فهو لا يزال قادرا على العطاء.

ثانيا: شخصية أعلام النهضة:

كانت هناك عوامل أخرى منها شخصية أعلام النهضة فقد كانت شخصيتهم متميزة إذ أنهم من الطراز المبدع لا الملقد، وأطلقوا لأنفسهم العنان في قراءة ومعرفة العلوم المختلفة ووضع التعديلات الممكنة دون تقييد وهذا جعلهم يتحررون من العصور الوسطى. وقد كان للحركة الإنسانية دورا كبيرا في ذلك التحرر إذ أن رواد الحركة كانوا يبحثون عن القديم بكل شوق دون النظر إلى المقابل المادي.

ثالثا:انتقال بعض المفكرين من اليونان باتجاه ايطاليا :

لقد كان لهؤلاء دور في تخصيب الفكر الغربي وذلك من خلال المحاضرات التي تم تقديمها في جامعات فلورنسا وميلانو كما كان الاهتمام بجمع الوثائق التي تعتبر مصدر هام للعلم والمعرفة والوصول إلى الحقائق ومن أمثال هؤلاء كريزلوراس وبساريون.

رابعا: اختراع آلة الطباعة لقد ساعد اختراع آلة الطباعة من طرف يوحنا جوتنبرغ 1397-1468م على نشر الأفكار وأصبحت عملية طبع الكتب عملية سهلة وبهذا زاد المنتوج العلمي والفكري مما سهل على الإنسانيين تأليف الكتب ونشرها فأصبحت في متناول الجميع.

خامسا: ظهور طبقة البورجوازية:

لقد أضعفت هذه الطبقة بشكل واضح من قدرات الكنيسة التي سيطرت على عقول الناس وأفكارهم، وهذا ما سمح بان يكون الإنتاج الفكري لعصر النهضة علماني مخالف لتوجيهات الكنيسة وسياستها في بعض الأحيان.

-مظاهر وخصائص النهضة الأوربية

يمكن رصد بعض مظاهر النهضة الأوربية الحديثة في مجموعة من التحولات أهمها:

-قيام الدول الحديثة:

وهذا نتيجة ضعف الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وضعف البابوية وهما سلطتان تزعمتا العالم الأوربي أثناء العصور الوسطى، وحلت محلها دول أوربية حديثة بدت واضحة بكيانها القومي المستقل.

-القضاء على النظام الإقطاعي:

هذا النظام الذي ساد في أوربا في العصور الوسطى، أساسه استغلال الأراضي الزراعية ، حيث بدأ بالتلاشي والزوال مع نهاية 13م وتحول شعوب الغرب الأوربي إلى الصناعة والتجارة مما أدى إلى ازدهار المدن وظهور طبقة جديدة وهي الطبقة الوسطى التي سكنت المدن وكان لها نفوذها السياسي.

-ظهور الفرد:

لم يكن للفرد أي اعتبار في العصور الوسطى إلا في إطار الجماعة أو الطائفة التي هي أصل المجتمع، وبالتالي لم يكن له طموح للوصول إلى الرفعة والشهرة. لكن في عصر النهضة تهيأت له الفرصة للظهور واثبات الوجود وإظهار عبقريته وممارسة نشاطه المهني أو الصناعي أو التجاري دون قيود.

-حرية التفكير والبحث:

تميزت العصور الوسطى بالجمود الفكري عامة، فالعلم والتعليم كان حكرا على الكنيسة ورجال الدين، لذلك كان العامة محرومين من العلم والمعرفة، كما أن نفقاتها باهظة فانتشرت الخرافات مما حال دون حرية الفكر والبحث. لكن قيام النهضة ساهم بقسط كبير في تدعيم الفكر الحر الذي اهتم أصحابه بالبحث والتنقيب والتخلص من قيود الكنيسة.

-إنشاء المكتبات والأكاديميات الحديثة:

لقد دفعت الحركة الفكرية إلى إنشاء وتكوين المكتبات والأكاديميات الحديثة مثل مكتبة البندقية ومكتبة سان ماركو بفلورنسا ومكتبة الفاتيكان أما الأكاديميات فهي شبه جامعة غير رسمية مثل أكاديمية أفلاطون والتي اهتمت بالدراسات الفلسفية وأكاديمية روما اهتمت بالدراسات التاريخية والآثار.

-الاهتمام بالدراسات الإغريقية واللاتينية:

التي كانت تثير اهتمام وإعجاب الكثير باعتبارها من أرقى ما أنتجته عقول البشر فخصص لهذه الدراسات مراكز خاصة في الجامعات المختلفة.

-ظهور اللغات الحديثة:

لقد كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلم والكتابة في العصور الوسطى لكن مع نهاية هذه العصور وبداية عصر النهضة بدا يتضاءل استخدامها حتى أصبح مقتصرا على رجال الكنيسة وظهر بعض الكتاب والأدباء الذين ثاروا

على الروح القديمة وتحرروا من القيود فاخذوا يكتبون بلغة شعوبهم وألفوا الروايات والأغاني التي انتشرت بين الجماهير. فنشأت لهجات مستقلة تعتمد على الأصل اللاّتيني في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وأخرى ذات أصل جرماني وعمد علماء كل لغة على ترقيتها والنهوض بها حتى أصبحت صالحة لتدوين العلوم والآداب.

-إحياء الآداب والعلوم والفنون:

أولى العلماء والكتاب اهتماما كبيرا بالعلوم والمعارف والآداب القديمة فاخذوا يتعلمون اللغتين اليونانية واللاتينية واقبلوا على دراسة المؤلفات المكتوبة بهاتين اللغتين ويؤلفون ويكتبون، كما اهتم الايطاليون خاصة بالفنون الجميلة من نحت ورسم وتصوير.

النهضة بايطاليا وخارجها:

بعد اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها بقيت ايطاليا محتفظة بالتراث الروماني، الذي لا يزال ينبض بروح الحياة اللاتينية في الفترة الغابرة. ولقد كانت ايطاليا من دول الغرب اللاتيني سباقة في حركة النهضة وقد كانت هناك عدة أسباب لظهورها بايطاليا ثم بعد ذلك انتشارها إلى باقي ربوع الغرب الأوربي ومنها:

1-ايطاليا موطن الحضارة الرومانية:

لقد شكلت ايطاليا قلب الحضارة الرومانية التي شهدت اوج ازدهارها وما مر بها خلال عصر الإمبراطورية من انتصار وهزائم، وبسقوط هذه الأخيرة بقيت ايطاليا محتفظة بالتراث الروماني من تماثيل وقصور ومختلف الوثائق والمخطوطات، حيث عمل مفكرو هذا العصر بالبحث والتنقيب عنها ودراستها، كما اعتبر الايطاليون أن هذا الإنجاز العظيم يعكس مدى عظمة آبائهم وبهذا تولد شعور القوة والإرادة لإحياء هذه التراث ولكن بشكل يتماشى وعصرهم الجديد.

2-الحالة السياسية لإيطاليا:

لقد كانت إيطاليا مقسمة إلى عدة جمهوريات ودوقيات وولايات متنافسة وهذا ما أدى بحكام وأمراء هذه الجمهوريات إلى تشجيع العلماء والمفكرين والأدباء في مجال البحث إما لذاته أو تخليدا للمجد الشخصي، ومن بين الأسر التي أسرة مديتشي بمدينة فلورنسا، ولقد قطعت الآداب والفنون شوطا لا يستهان به، حينما كان لورنزو ي مديتشي(1449-1492م) أميرا للمدينة، والتي أصبحت هاته الأخيرة عاصمة للفن والإبداع الفكري.

ومن بين مفكريها ومبدعيها نجد مايكل أنجلو(1475- 1545م) ودوناتللو و فيلبو ليبي(1457-1504م) وساندرو بوتشللي(1445-1510م) ونيكولا ميكافيللي(1469-1527م)، وليوناردو دفنشي(1452-1519م)، كما كان الأمير لورنزو ذو عبقرية في الفن والشعر.

ومن ما تميزت به النهضة الايطالية من قوة أن فنانيها كانوا متعددي المواهب والتخصص حيث وجد في فلورنسا نحاتون ونقاشون هم أنفسهم من فئة الأطباء والصيادلة، فمثلا مايكل أنجلو كان فنانا في النحت والرسم كانت له مهارته في بناء التحصينات في فلورنسا، بل أنه كان مؤلفا لمنظوماته الغنائية، أما ليوناردو دافنشي، فقد كان رساما(الموناليزا)و(العشاء الأخير)، إلى جانب أنه كان مهندسا وميكانيكيا وعالما، بالإضافة إلى مفكرين آخرين أمثال ليون باتيستا ألبري(1404-1472م)الذي تعددت مواهبه في الفلسفة والموسيقى والطب والرياضيات وغيرها.

كما كانت هناك أسر أخرى مثل أسرة بورجيا التي هي الأخرى شجعت العلماء والمفكرين والفنانين، بل حتى أن البابوات بروما أمثال نيقولا الخامس(1397-1455م) وليون العاشر(1475-1521م) الذين كانوا يجزلون العطاء ويقدمون الهدايا لهؤلاء الأدباء والعلماء والمفكرين.

3-الطبيعة الجغرافية لإيطاليا:

فقد كان لموقع إيطاليا وما تميزت به من مناظر خلابة أثر كبير في نفسية المبدعين وإحساسهم.

4-إستراتيجية موقع إيطاليا:

بحكم موقعها شكلت ايطاليا حلقة الوصل بين الغرب والشرق، وقاعدة هامة بحكم امتلاكها لأساطيل بحرية حيث أصبحت سفنها جسرا لعبور الحملات الصليبية بإتجاه الشرق لنقل الصليبيين، بالإضافة إلى تجارتها مع المسلمين، كما أنها كانت قريبة من القسطنطينية مما جعلها تستفيد من المفكرين اليونانيين، إذ كانوا يحاضرون في جامعاتها وإرسال البعثات الإيطالية إلى القسطنطينية.

5-التجارة في إيطاليا:

لقد اشتغلت المدن الإيطالية بالتجارة وقد ساعد ذلك على رخاء العيش وجمع الأموال وكل ذلك ساعد العلماء على البحث والتنقيب والاعتكاف للعلم وأخذ الدروس دون مراعاة الأشياء المادية.

النهضة خارج إيطاليا :

انتشرت النهضة، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، من إيطاليا إلى البلاد الأخرى، كفرنسا وألمانيا وإنجلترا وأسبانيا. دخلت النهضة إلى تلك البلاد مع الزائرين الذي كانوا يتوافدون إلى إيطاليا، من التجار والصيارفة والدبلوماسيين، وطلاب العلم الشباب خاصة. وقد اكتسب العلماء من الإيطاليين الأدوات الأساسية للدراسات الإنسانية، وهي التاريخ وفقه اللغة .

ولقد كان لسلسلة الغزوات، التي تعّرضت لها إيطاليا، دور رئيسي في نشر النهضة في أجزاء أخرى من أوروبا. فمنذ سنة 1494م إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، هاجمت إيطاليا، تباعًا، جيوشُ فرنسا[1] وألمانيا وأسبانيا[2]. وافتتن المغيرون بجمالية الفن والعمارة الإيطالية، وعادوا إلى أوطانهم متأثرين تأثرًا عميقًا بالثقافة الإيطالية.

الخلفية السياسية

اختلفت البنية السياسية لأوروبا الشمالية والغربية، في عصر النهضة، اختلافًا كبيرًا عنها في إيطاليا. ففي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي كانت كل من إنجلترا وفرنسا وأسبانيا قد توحدت دولاً قومية في ظل نظم حكم ملكية. ووفرت هذه الحكومات الملكية القيادة السياسية والثقافية لبلادها، إلا أن ألمانيا كانت قلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي انصرفت، إلى حد ما، لتوحيد الدول الألمانية المختلفة .

ولقد دعمت الملكية في أوروبا الشمالية والغربية النهضة دعمًا كبيرًا مثلما فعلت المدن في إيطاليا، فالملك الفرنسي فرانسوا الأول، مثلاً، الذي حكم بين عامي 1515م و1547م، حاول أن يحيط نفسه بأبرع ممثلي النهضة الإيطالية. وأحضر إلى فرنسا ليوناردو دافينشي وعددًا كبيرًا من الفنانين والعلماء الإيطاليين. أما في إنجلترا فقد أصبحت عائلة تيودور أهم راع للنهضة. حكمت عائلة تيودور بين عامي 1485 و 1603م. ودعا هنري السابع . وهو أول ملك من هذه الأسرة . العديد من الإنسانيين الإيطاليين إلى إنجلترا. وشجّع هؤلاء الإنسانيون العلماء الإنجليز على دراسة الأدب والفلسفة الإغريقية والرومانية القديمة.

الحركة الإنسانية :

كانت الحركة الإنسانية أبرز حركة فكرية في عصر النهضة. مزجت هذه الحركة الاهتمام بتاريخ البشر وأفعالهم بالاهتمامات الدينية. وكان الإنسانيون هم العلماء والفنّانين الذين درسوا موضوعات اعتقدوا أنها تساعدهم على فهم القضايا الإنسانية بشكل أفضل.

وقد اشتملت هذه الموضوعات على الآداب والفلسفة. وشارك الإنسانيون في وجهة النظر التي تقول إن حضارتي اليونان والرومان القديمتين كانتا متفوقتين في موضوعات كهذه، وبالتالي تصلحان لأن تكونا نموذجين يحتذى بهما. كما اعتقدوا أن على الناس أن يتفهموا العصور الكلاسيكية القديمة ويقدروها حق قدرها كي يتعلموا كيف يوجهون حياتهم[1].

وكان على الإنسانيين . كي يفهموا التقاليد والقوانين والأفكار اليونانية والرومانية القديمة . أن يجيدوا أولاً لغات العصور الكلاسيكية القديمة. فقد استخدم الإغريق لغة أجنبية بالنسبة للإيطاليين، كما استخدم الرومان شكلاً من اللاتينية يختلف كثيرًا عن اللاتينية التي كانت تستخدم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. ولتعلم الإغريقية واللاتينية القديمتين قام الإنسانيون بدراسة فقه اللغة، (علم معاني الكلمات وتاريخها). لقد أصبح فقه اللغة، أحد الاهتمامين الرئيسيين للإنسانيين.

أما الاهتمام الآخر فقد كان بالتاريخ، الذي عّده الإنسانيون دراسة للمآثر الكبرى التي قام بها رجال العصور الكلاسيكية القديمة الذين تمتعوا بالشجاعة والنبل والحكمة[2].

إن اهتمام الإنسانيين بحضارتي اليونان والرومان القديمتين قادهم للبحث عن المخطوطات والتماثيل والقطع النقدية وأشياء أخرى من الحضارة الكلاسيكية القديمة لاتزال باقية .فقد نقبوا، مثلاً، مكتبات الأديرة في كل أرجاء أوروبا، وكشفوا عن مخطوطات مهملة منذ زمن طويل، فوق رفوف يغطيها الغبار، كان قد ألفها كُتَّاب كلاسيكيون. ودرس الإنسانيون هذه المخطوطات بدقة وأعدوا طبعات محققة ومقومة لها، وغالبًا ماكانوا يقومون بترجمتها[3] .

كان بترارك وجيوفاني بوكّاتشيو من أوائل إنسانيي عصر النهضة. كشف هذان الصديقان في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي النقاب عن عدد كبير من المخطوطات القديمة المهمة التي كانت مهملة منذ زمن بعيد. فقد اكتشف بترارك أعظم هذه الأعمال تأثيرًا، ألا وهي رسائل إلى آتيكوس .وهي مجموعة من الرسائل حول الحياة السياسية الرومانية كتبها السياسي والخطيب ماركوس توليوس شيشرون4.

ولكون بترارك وبوكاتشيو درسا الكتابات الكلاسيكية القديمة التي أعادا اكتشافها، فقد حاولا تقليد أساليب المؤلفين القدماء، وحثّا الناس على التعبير عن أنفسهم بدقة وبراعة، وهي خصائص لمسها كل جانب في الأسلوب الأدبي الكلاسيكي. ويقول بترارك : ,الأسلوب هو الإنسان'. وهو يعني أن التعبير الطائش يعكس فكرًا طائشًا.

أصبح بترارك معروفًا بشعره، وبوكاتشيو معروفًا بمجموعة من القصص تدعى الديكاميرون، ألّفها بين عامي 1349 و 1353م. وقد حاولا في أعمالهما وصف المشاعر والمواقف الإنسانية التي يمكن أن يدركها الناس بسهولة.

وقد أصر كل من بترارك وبوكاتشيو على أن واجب المفكرين التركيز على المشاكل الإنسانية التي اعتقدوا أنها أكثر أهمية من فهم أسرار الطبيعة أو فهم أسرار الإرادة الإلهية. كما اعتقدا أن الناس يستطيعون أن يتعلموا كيف يتعاملون مع مشاكلهم بدراسة شخصيات من الماضي[5].

الحركة الإنسانية النصرانية

لم يكن علماء عصر النهضة في أوروبا الشمالية والغربية مهتمين كالإيطاليين بدراسة الأدب الكلاسيكي القديم .وسعوا، بدلاً من ذلك، إلى تطبيق المناهج الإنسانية، في دراسة النصرانية. كان هؤلاء العلماء مهتمين، بصفة خاصة، بتحديد النصوص التي تقوم عليها النصرانية وطباعتها بدقة متناهية. وهذه النصوص تشتمل على الكتاب المقدس، ورسائل القديس بول، وأعمال كبار آباء الكنيسة الأوائل مثل: أمبروز، وجيروم وأوغسطين. وُعرف هؤلاء العلماء بالإنسانيين النصارى لتمييزهم عن أولئك الإنسانيين الذي كانوا مشغولين بشكل رئيسي بدراسة العصور الكلاسيكية القديمة.

ديزيدريوس أرازمس وتوماس مور

***ديزيدريوس أرازمس الهولندي**(1466-1536): كان من رواد الحركة الإنسانية في أوربا، رفض بشجاعة التَّخلِّي عن مُثُلِه ولد أرازمس في هولندا، وتعلّم في باريس، وطاف في أرجاء ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا. كان عالما بارزًا وعلى معرفة كاملة باللغتين اللاتينية والإغريقية. رفض أرازمس أن يكون طرفًا في أي خلاف سياسي أو ديني. وفضَّل ألا يدعم أي جانب في حركة الإصلاح الديني اللوثري، وهي الحركة الدينية التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي، وأدّت إلى مولد البروتستانتية. لقد التمس كل من الرومان الكاثوليك والبروتستانت دعم أرازمس. إلا أنه احتفظ باستقلاليته بكل تصميم، وعدَّه الطرفان جبانًا. ولكن أرازمس هاجم المفاسد التي رآها في الكنيسة من خلال كتاب مشهور بعنوان(مدح الحمق1511) . وانتقد فيه أخلاق قادة الكنيسة. واتهم أرازمس كلا الفريقين بالمغالاة في التركيز على الشكليات والطقوس، في الوقت الذي يهملان فيه القيم الروحية للنصرانية[6].

***توماس مور(1478-1535)**: ولد بأنجلترا، وكرّس حياته لخدمة بلاده. ألف كتابه اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) وكسب ثقة الملك هنري الثامن (1491-1547) نفّذ له عددًا من الأعمال المهمة. وفي عام 1529م عيَّنه الملك قاضي القضاة، وبذلك جعله في أرفع منصب قضائي في إنجلترا.كرَّس مور نفسه، من خلال منصبه هذا للمبادئ التي نادى بها أرازمس. لقد اعتقد مور- مثل أرازمس- أن المهم هو إلغاء المفاسد وعدم المساواة والشرور التي كانت مقبولة وكأنها أشياء عادية في عصره. أشهر مؤلفات مور هو كتابه اليوطوبيا أي المدينة الفاضلة (1516م). ويصف فيه مجتمعًا حل فيه الاهتمام العام بصحة كل إنسان وسعادته محل الانقسام إلى أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء.

إن مبادئ مور الثابتة كلفته حياته أخيرًا. فقد اعترض على قرار هنري الثامن بطلاق الملكة كاثرين ملكة أراغون والزواج ثانية. ورفض أن ينازع الملك البابا في سلطته .وفي سنة 1535م قُطع رأس مور بتهمة الخيانة العظمى.

حركة الإصلاح الديني في أوربا

إن حركة الإصلاح الديني أيقظت ضمير الفرد الأوربي بضرورة القيام بإصلاح ما انتشر من فساد وانحطاط القيم والأخلاق والطمع وحب المال وخاصة رجال الكنيسة، ومن رواد هذه الحركة **جون ويكلف الانجليزي**(1348-1384م) **وجون هس التشيكي** (1370-1415م) **وسافونا رولا الايطالي** (1452-1498م) **ومارتن لوثر الألماني** (1483-1546م).

1-جون ويكلف (1348-1384م) أخذ اسمه من بلدته ويكلف في منطقة يوركشير بأنجلترا، حصل على الدكتوراه في علم اللاّهوت من جامعة اكسفورد سنة 1372م، وبعد ذلك منحه الملك ادوارد الثالث(1327-1377م) قطعة ارض في منطقة لترورز اعترافا بشهرته العلمية، وقد كان من بين أعضاء بعثة الملك إلى بروج لتسوية الخلافات مع البابوية، حيث أن الملك رفض دفع الضريبة للبابوية، التي كانت مقررة منذ عهد يوحنا سنة 1215م. وقد ركز ويكلف دراسته في تلك الفترة على علاقة الملك بالبابا أي العلاقة بين السلطتين الزمنية والدينية، ومن أفكاره مسألة السيادة وأن هذه الأخيرة يختص بها الخالق وحده، وأن رجال الدين والساسة فإنهم يقومون بتلك المهمة بتكليف من الله سبحانه، بإتباع مبدأ العدالة، كما أنه يرى بأن كل الأفراد في أي مجتمع هم أصحاب حق طبيعي في نصيب من هذا، أي الجميع يُحظى بالكرم الإلهي وأن الأرض ملك للجميع، قبل وقوع آدم عليه السلام في الخطيئة وأن هذه الأخيرة هي التي جلبت للعالم آفة حب الملكية، وتنافس بني آدم على تراب الأرض. ولا ينكر ويكلف حق الكنيسة في هذا التراب بشرط التوافق مع الحاكم، وقد رحب نبلاء الانجليز بهذا الفكر لأنهم رأوا بأن الكنيسة ذات ملكية واسعة، غير أن ذلك لم يعجب رجال الدين عامة فطلبوا محاكمة ويكلف نتيجة أفكاره المتطرفة. كما انتقل ويكلف إلى نظريات أخرى تخص العقيدة والطقوس الدينية، فقد نادى بمذهب القدرية فالبعض قدر لهم الخلاص، والبعض الآخر الهلاك وأن البابا أغلب الظن من الهالكين، وأن الكنيسة ورجالها منافقون وليس ثمة مبرر لوجودها، وأن الصلة بين العبد وربه تتم بالاسترشاد بما جاء في الكتب المقدسة دون اتخاذ وساطة. حينها تحين الأسقف وليم كورتيناي الفرصة وطرد ويكلف من جامعة أكسفورد هو وأتباعه، بعدها اختفى ويكلف بعيدا عن الأنظار في مزرعته في لترورز حيث توفي هناك. ولقد لقيت أفكاره انتشارا واسعا في انجلترا وأصبحت مذهب الكادحين والعمال والناقمين على نظام الحكم، فتصدت السلطة لذلك بالحديد والنار. وبالرغم من ذلك فقد انتقلت أفكاره إلى مناطق أوربا وخصوصا بوهيميا وانتشرت أفكاره في أروقة جامعة

براغ، التي تأسست سنة 1437م، وبهذا انزعج مسؤولوها من هذا الفكر، ورفع توصية إلى مجلس الجامعة بضرورة إدانة هذا الفكر الغريب، غير أن بعض الدارسين لم يهتموا بذلك وعلى رأسهم جون هس.

2-جون هس(1370-1415م) ولد في قرية هوزنيك، وحصل على إجازتي ليسانس والماجستير بالتتالي 1386-1396م كانا شابا متحمسا لقضايا الإصلاح الكنسي، كان خطيبا ومؤلفا للخطب الدينية، كما كانت هناك جماعة من المتحمسين للإصلاح في تشيكوسلوفاكيا تنادي بعودة الدين إلى الحياة الأولى البسيطة، وأعلن هس أنه لا يحق للكاهن المخطئ أن يؤم الصلاة أو القيام بالطقوس الدينية، ولما انتشرت آراءه وأفكاره في جامعة براغ أرسل البابا اسكندر الخامس أوامره إلى أساقفة براغ بإحراق كتب هس وجون ويكلف سنة 1410م، وكان رد فعل هؤلاء على هذا العمل أنه شرف لأبناء التشيك، كما ظهرت الأغاني الشعبية التي تسخر من كبير الأساقفة زينيك لجهله بما في الكتب. ونتيجة حاجة الكنيسة إلى المال لخوض حروبها ضد معارضيها ابتدع البابا يوحنا الحادي عشر (931-935م) صكوك الغفران في مجلس راتس سنة934م، وهذا لمن يرغب في التكفير عن ذنوبه. فكان جون هس أول من ندد بذلك، لأن الفردوس لا يورث بالمال ولا بالرشوة، وفي شهر جويلية سنة 1415م تم إحراق جون هس. وبالرغم من رد الفعل العنيف ضد هس، إلا أن أفكاره وتعاليمه ظلت متأججة في وجدان الشعب السلافي في بوهيميا، كما أن كراهتهم تجاه الألمان أظهرت حزبا بقيادة احد أتباعه المدعو نيقولا وصديقه زسكا، كما ظهرت جماعة مؤيدة لجون هس تدعى أبناء براغ سنة 1420م، وطالبت بتجريد رجال الدين من الملكية الخاصة، والقضاء على النظام الملكي، كما أنهم لم يغفروا للإمبراطور الألماني سجسموند خطأه ضد جون هس، فبعد أن توج سجسموند شقيقه على عرش بوهيميا ثاروا ضده، فبادر الإمبراطور بعقد حلف مع البابا مارتن الخامس، لشن حملات ضد أتباع هس خلال السنوات 1420،1421،1422،1427م، وقد تصدى البطل زسكا للألمان بعبقريته الفذة، وقد أوصى قبل وفاته أن يصنعوا من جلده طبلة يقرعون بها عند الحاجة لإيقاظ الثوار ضد الألمان والبابوية.

3-سافونا رولا:

لقد كانت المدن الايطالية تخضع لسلطان الأسر النبيلة، مثل آل مدتشي في فلورنسا وآل سفورزا في البندقية وآل بنتفوجيللو في بولونا، وكانت حسنة هذه الأسر تشجيعهم للفنون والآداب وإحياء التراث الكلاسيكي، وقد كانت ايطاليا محاطة بقوى أوربية عظمى، مثل فرنسا وألمانيا واسبانيا، هذا بالإضافة إلى العثمانيين الذين وصلوا حدود منطقة الأدرياتيك. وفي شهر أوت 1492م هاجم شارل الثامن ملك فرنسا ايطاليا بجيشه الجرار، وعند

انهزام الأمير الفلورنسي بيترو مديتشي خرج المتظاهرون بقيادة الراهب **سافونا رولا** ضد حكم مديتشي، وبتجمع القوات الايطالية ضد الفرنسيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالغزاة، وقد انعكس هذا على والوضع الداخلي في فلورنسا، حيث أصبح حزب الأحرار بقيادة **سافونا رولا** ينادي بإقامة مجتمع يتمتع بالحرية والمساواة، بينما نظيريه من الأحزاب فمنهم ضد آل مدتشي والآخر من مؤيديها، وقد طالب **رولا** بضرورة توسيع برلمان فلورنسا لكي يمثل الشعب بدلا من تناحر الأحزاب الثلاثة. وبهذا تم انتخاب مجلس يمثل شرائح المجتمع سنة 1495م، غير أن حزب **سافونا رولا** كان متعاطفا مع شارل الثامن الملك الفرنسي، نكاية في البابا اسكندر الخامس وأصهاره من نابلي، فقد شبههم **رولا** ببؤر الفساد في ايطاليا. لهذا قام البابا بتأليب الرأي العام ضد **سافونا رولا** ، متهما إياه بالخيانة والتواطؤ مع الملك الفرنسي، وأرسل إلى فلورنسا لمنع **رولا** من دروس الوعظ، فأمتثل سافولا رولا لأمر البابا، غير أنه عدل عن ذلك وخرج عن صمته، حيث اعتلى منبر كاتدرائية سان مارك، وصاح قائلا بأن السماء قد طلبت منه ألا ينصاع وألا يرضخ لحكم كاهن فاسد، كما أنه اتهم البابا بالانحلال الخلقي. لذا جند البابا اسكندر راهبا ضليعا اسمه فرانسيس، لكي يشهر بسيرة سافونا رولا في كنيسة سانتا كروتشي، وفي أول لقاء بالجمهور أثناء تأدية الصلاة حثهم على أن رولا لم يكن صادقا في أقواله، ولا يمكنه بالإتيان بالمعجزات، لذا أردت أن أتحاكم معه بالنار، ومن ينجو منها فهو صادق. وبهذا دعا الأنصار **سافونا رولا** لقبول التحدي، حيث جمع الحطب وجعل أكواما، ومن يستطيع العبور من خلال ممرها دون احتراق فهو على حق، وقد اجتمع الناس لهذا المشهد ونتيجة لبعض الخلافات بين الأنصار تشاجروا ،كما أن النار التي اشتعلت قد انطفأت أثناء نزول المطر ،وبهذا لم تتحقق معجزة **سافونا رولا**، وبهذا تراجعت شعبيته. وبعد ذلك تم القبض وإعدامه حرقا في 23 ماي 1498م.

4مارتن لوثر: (1483-1546م) من عائلة فقيرة تمارس النشاط الفلاحي في سكسونيا، التحق بجامعة ارفورت ودرس القانون، وكانت الجامعة قد أدرجت الدراسات الإنسانية القديمة، والدراسات الدينية المتعمقة، وقد حصل لوثر على درجته الجامعية، وفي سنة 1505م دخل الحياة الديرية، حيث انضم إلى جماعة القديس أوغسطين وأصبح راهبا، وفي سنة 1508م عاد إلى الحياة الجامعية، حيث التحق بجامعة وتنبرج واستكمل دراساته في اللاّهوت. وفي سنة 1511م، قام بزيارة روما في مهمة رسمية ممثلا لطائفة القديس أوغسطين، وأثناء تلك الزيارة هاله ما رآه من انحطاط أخلاقي لرجال الدين. وفي سنة 1512م تم تعيينه أستاذا لكرسي اللاهوت بجامعة وتنبرج، وقد ركز في رسالته الجامعية على التدريس والوعظ. تعود لهذه العبقرية ضرورة إصلاح مفاسد الكنيسة

ورجالها، ولقد كان مارتن لوثر متمسكا بشدة اعتقاده أن كل الحقائق ذات الصلة بالمشاكل القصوى للحياة والفكر كامنة في الكتاب المقدس، لم يكن مارتن ثوريا بالرغم من أنه كان سببا في قيام الثورة، بل كان عبقريا ذو فكر ودهاء. وفي بحثه عن الخلاص لنفسه، جعل منه بطلا للأمة الألمانية ضد ادعاءات الكنيسة الرومانية. ومن العوامل التي ساعدت قيام حركته وانتشارها منها تدهور وتراجع الكنيسة الكاثوليكية في روما، وروح النقد والتحرر من القيود التي فرضتها الكنيسة على المجتمع اللاّتيني، وخاصة ما يتعلق بحرية البحث والتفكير، وكذلك موقف حكام الألمان من تشرذم ألمانيا وانقسامها على نفسها، إذ أنه كان العديد من الوحدات السياسية، والتي تفوق ثلاثمائة وخمسين حكومة، وكان حكام هذه الوحدات يرون بأن سلطة البابا تحد من حريتهم عكس ما هو موجود في فرنسا وانجلترا على الخصوص. كما أن **صكوك الغفران** كانت سببا في قيام حركة لوثر الإصلاحية، والتي تطورت بدورها إلى حركة ثورية. وفيما يتعلق بصكوك الغفران، فإنها نشأت عن فكرة دينية روّج لها رجال الدين، وهي أن الإنسان إذا ارتكب خطأ ثم ندم على ارتكابه وتاب، ثم اعترف به أمام القسيس، فإن هذا المذنب لا يدخل الجنة مباشرة، بل يبقى فترة من الزمن في المطهر، حيث يلقى فيها نوعا من العذاب لكي يتطهر تماما من الذنوب. وكان من رأي الكنيسة أن العذاب الذي يلقاه المذنب التائب أثناء وجوده في المطهر، يمكن تخفيفه بالحج إلى كنائس معينة في روما وزيارة قبور الرسل، ثم تطورت فكرة تخفيف عذاب المطهر، وأجازت تقديم الهبات المالية بشرا ء صكوك الغفران بدلا من تحمل مشقة الحج إلى روما. علما أن الأساس في صكوك الغفران هو التماس التخفيف من عذاب المطهر، فلا بد أن تسبق شراء صكوك الغفران عمليتان رئيسيتان هما: أولا–التوبة أو الندم وثانيا: الاعتراف بالذنب بعد ذلك يأتي تكفير المذنب، وهذا التكفير في بادئ الأمر شمل الصلاة والصوم والزكاة. وفيما يتعلق بقضية بيع صكوك الغفران، فإن الراهب **حنا تتزل** دخل مدينة وتنبرج سنة 1517م لبيع صكوك الغفران، ونسبة من هذه الأموال تذهب لخزينة البابا ليون العاشر (1513–1521م). وحسب ما ذُكر فإن هذا الراهب تجاوز التعليمات من أجل بيع أكبر عدد ممكن من الصكوك. وقد أثارت هذه التصريحات حفيظة مارتن لوثر وهاجم فكرة صكوك الغفران. ولقد حدد لوثر أسس ومبادئ لحركته منها: إخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية، وليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل، وكذلك إباحة الزواج للقس وإباحة الطلاق للمسيحيين، وعدم إنشاء أديرة جديدة وإلغاء عدد من الأديرة الموجودة ثم إلغاء الديرية والرهبنة. كما أنه ليس في استطاعة القس تحويل العشاء الرباني. ونتيجة لذلك طلب البابا من شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة بتنفيذ قرار الحرمان البابوي، فوجه الإمبراطور دعوة لاجتماع المجلس في مدينة ورمس الألمانية وطلب من مارتن لوثر الحضور للاجتماع، الذي ينعقد في المدينة في 17 أفريل 1521م، علما أن الإمبراطور منح لوثر أمانا به يسافر

من وتنبرج إلى ورمس والعودة إلى مدينته بأمان. وقبل سفره وفي مدينة وتنبرج في 10ديسمبر 1520م أحرق لوثر قرار الحرمان البابوي وغيره من المراسيم البابوية، بحضور العامة وطلبة الجامعة، وبهذا انقلبت حركة مارتن لوثر لتصبح حركة قومية ضد كنيسة روما، وأصبح لوثر زعيما وطنيا. وفي 26 من شهر ماي سنة 1521م تم إدانة لوثر واعتباره هرطيقا يجب معاقبته. ولكن الإمبراطور وفّى بعهده لمارتن، أن لا يمسه بسوء، ولكن بانقضاء المدة أمر بإلقاء القبض عليه، لكن أمير سكسونيا **فردريك** قدم له الأمان والحماية في قلعة ورتبرج، فأصبح لوثر بعيدا عن بطش الإمبراطورية والبابوية معا. وفي أثناء وجوده بالقلعة قام لوثر بترجمة الإنجيل من الإغريقية إلى الألمانية، وبذلك أصبح الإنجيل متاحا للشعب الألماني بلغته، وكان لذلك العمل أثر في إحياء الأدب الألماني، وجعل من لوثر أحد رواد وأعلام النهوض باللغة الألمانية، إذ أنه جمع بين الدين والأدب. وفي قلعته اتصل به الفيلسوف فيليب ملانسكتون، فكان له خير مساعد في وضع فلسفة للإصلاح اللوثري.